وما سواها (400)

فـــــرد وإنفـــــراد!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

الفردية نزعة كامنة في أعماق البشر , تعبّر عن تطلعاتها حالما تتوفر لها الظروف المحيطية الملائمة , وتتأكد بوضوح عندما يكون الشخص في مواقع المسؤولية

ما أكثر المتفردين الذين أصابوا أنفسهم وأوطانهم بمقتل , وفي التأريخ أمثلة متكررة عن سلوكيات الفردية الجامحة الطامحة المحلقة بأجنحة المجهول

عقولنا لا تتفاعل بل تتفرد وتتعاضل , وهذا واضح في نشاطات المفكرين والفلاسفة , فلكل منهم مشروعه ورؤيته , ويرى أن ما يقوم به عين الصواب , وغيره لا قيمة لعمله , مما يعني أن الديماغوجية مترسخة في وعينا

لهذا فشل المفكرون والفلاسفة بالتأثير في الواقع , ولا يَقرأ ما يسطرونه غير بعض النخب

الأمة فيها عقول حضارية واعية موسوعية , غير قادرة على تحويل ما تراه إلى سلوك فاعل في المجتمع للصراع السلبي

تفرّد بالمسؤولية: خص بها نفسه ولم يشرك بها أحدا.

الفردية نزعة كامنة في أعماق البشر , تعبّر عن تطلعاتها حالما تتوفر لها الظروف المحيطية الملائمة , وتتأكد بوضوح عندما يكون الشخص في مواقع المسؤولية , حيث تتأبط فرديته عناصر نرجسيته فتتضخم أناه وتستعر في دنياه تطلعات فوق بشرية , وتتغير مداركه , فيحسب الناس صغارا ويرونه صغيرا , وهو يظن أنه الأكبر والأقدر والأعظم.

وما أكثر المتفردين الذين أصابوا أنفسهم وأوطانهم بمقتل , وفي التأريخ أمثلة متكررة عن سلوكيات الفردية الجامحة الطامحة المحلقة بأجنحة المجهول.

وهذه إطلالة نفسية – سلوكية على الفردية والتفرد:

أولا: الفردية عاهتنا!!

عقولنا لا تتفاعل بل تتفرد وتتعاضل , وهذا واضح في نشاطات المفكرين والفلاسفة , فلكل منهم مشروعه ورؤيته , ويرى أن ما يقوم به عين الصواب , وغيره لا قيمة لعمله , مما يعني أن الديماغوجية مترسخة في وعينا , ومهما إدّعينا , فالواحد منا يرى إمتلاكه الحقيقة المطلقة , وغيره على خطأ , فلا يتأمل رؤيته ولا يتفاعل معه.

ولهذا فشل المفكرون والفلاسفة بالتأثير في الواقع , ولا يَقرأ ما يسطرونه غير بعض النخب.

الأمة فيها عقول حضارية واعية موسوعية , غير قادرة على تحويل ما تراه إلى سلوك فاعل في المجتمع للصراع السلبي بينها.

القرن العشرون مزدحم بالعقول المتنوّرة , وتأثيرها غير ملموس , فكل يغني على ليلاه , التي تزداد مرضا وتتراكم عليها الأوجاع , ويبدو واضحا من المنشور في الصحف والمواقع والتفاعلات.

فالصدق والأمانة والحرية الخالصة لا وجود لها , ولا أثر في التعامل الإيجابي بين المثقفين.

وهذا يختلف عما يدور في مجتمعات الدنيا , التي تقيّم الفكرة وتسعى بجد وإجتهاد لترسيخها أو تفنيدها , وتحويلها إلى قرار وسلوك أو إلغائها , ولا توجد عندنا تفاعلات فكرية نزيهة ذات قيمة قادرة على بناء الرؤية اللازمة للتواصل مع التحديات.

جميعنا ينتقد السلوك الفردي ويدين الكراسي المستبدة , ونحن أشد فردية وإستبداد في التعامل مع بعضنا.

قد يُزعج الطرح , لكنه نقد ذاتي مطلوب للخروج من شرنقة التفرد والإستبداد.

ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه على الأجيال , لماذا وجود المئات من المفكرين والفلاسفة والمثقفين في ربوع الأمة , وبقيت راكدة في مستنقعات التبعية والخنوع.

ربما سيقول قائل أنها أنظمة الحكم , وقهر القوى المهيمنة , لكن السبب الأساسي , يكمن في الميل للفردية والفوقية والنرجسية الفائقة.

فهل لنا التفاعل بنكران ذات من أجل أمة تبحث عن جوهر ذاتها؟!!

ثانيا: الفردية الزائفة والتيار المفقود!!

المجتمعات التي تكون فيها النشاطات فردية بحتة , وذات نظرة أنانية قاصرة تفصلها عن المسيرة المجتمعية , تتسبب بإنهيارات مروعة , وتوفر الفرص للطامعين بالإختراق , والتمكن من إدارة البلاد وإمتهان العباد.

ونخب أي مجتمع إن لم تنظر بشمولية وقدرة على إدراك المآلات التفاعلية , فأنها تساهم في وضع المجتمع على خشبة الجزر الفتاك لحاضره ومستقبله.

إن ما يصيب بعض المجتمعات المنكوبة بأبنائها , هو الإنغماس بالذاتية والأنانية الشديدة الإنكار لوجود الآخر وضرورة تفاعله البناء مع غيره , فالأقوام المتعاونة لا يصيبها الذل والهوان , بعكس المتناحرة التي تتآكل ويدثرها الخسران.

فمن أهم أسباب التبعية والخنوع , الإمعان بالوهم الفردي والقدرة الذاتية المعزولة , التي تستمد قوتها من أعداء وطنها وأصحاب المصالح , الذين يجندون لحمايتها أبناء البلاد المتوهمون بالقدرة على النفوذ المطلق والثراء السريع , وهم على أنفسهم وبلدانهم يتحاملون , ومَن يخون وطنه وينكل بمجتمعه يهين نفسه ويجني على حياته ويكون من المندحرين.

فالإمعان بالفردية يمنع تكون أي تيار قادر على التغيير والإنتقال بالواقع المعاش إلى أفضل مما هو عليه , وهكذا تجد المجتمعات الخالية من التواشج العملي والتفاعل التضامني غير قادرة على الإتيان بما ينفعها , وتستهلك طاقاتها في مواجهات بينية تخدم أعداءها , وهي في غفلة عمّا يخططون.

وهكذا , فعندما يغيب التيار المتوثب والدافق بالحيوية والعطاء المتسابك , تبدو المجتمعات عاجزة ومقعدة على قارعة طريق الثورات الإبداعية المتلاحقة في عالم تديره تكنولوجيا المعلومات والتواصلات الإليكترونية , ومستقبله يزدحم بمستجدات تفوق أي خيال معاصر.

تفرّدتِ المواجعُ في خُطاها
وحارَبتِ النوازعُ مَن عَلاها
لماذا فردُها ضدٌ لفردٍ
يُجابهها ويَسلبها مُناها
إذا عَصفتْ صراعاتٌ بقومٍ
فقدْ أكلتْ مَصائبُها حَجاها

ثالثا: الفردية والمعلوماتية!!

ما أن بدأت علائم الثورة المعلوماتية تتصدر الواقع الأرضي , حتى إنتفى السلوك الفردي الفاعل في الحياة , ذلك أن الرأس الواحد لا يمكنه إستيعاب التطورات والمستجدات , ولا بد من رؤوس متفاعلة متواكبة النشاط إزاء المواقف والتطورات.

فالفردية تقضي على صاحبها ومَن والاه!!

وإنتفاء الفردية بدأ يلوح في الأفق في العقدين الأخيرين من القرن العشرين , وبلغت ذروة إنطلاقها في العقد الأخير منه , والمجتمعات التي لم تستوعب هذه الإنتقالة الحادة , أصابها المتفردون بأمرها بويلات وتداعيات مريرة.

بينها

القرن العشرون مزدحم بالعقول المتنوّرة , وتأثيرها غير ملموس , فكل يغني على ليلاه , التي تزداد مرضا وتتراكم عليها الأوجاع

يبقى السؤال الذي يفرض نفسه على الأجيال , لماذا وجود المئات من المفكرين والفلاسفة والمثقفين في ربوع الأمة , وبقيت راكدة في مستنقعات التبعية والخنوع

المجتمعات التي تكون فيها النشاطات فردية بحتة , وذات نظرة أنانية قاصرة تفصلها عن المسيرة المجتمعية , تتسبب بإنهيارات مروعة , وتوفر الفرص للطامعين بالإختراق , والتمكن من إدارة البلاد وإمتهان العباد

إن ما يصيب بعض المجتمعات المنكوبة بأبنائها , هو الإنغماس بالذاتية والأنانية الشديدة الإنكار لوجود الآخر وضرورة تفاعله البناء مع غيره

من أهم أسباب التبعية والخنوع , الإمعان بالوهم الفردي , والقدرة الذاتية المعزولة , التي تستمد قوتها من أعداء وطنها وأصحاب المصالح

الإمعان بالفردية يمنع تكون أي تيار قادر على التغيير والإنتقال بالواقع المعاش إلى أفضل مما هو عليه

المجتمعات الخالية من التواشج

ويمكن القول بان الفردية تتمثل في الفئة , الحزب , أو المجموعة التي تمتثل لأمر شخص واحد , يتسبب لها بما تقوم به من نشاطات ويرسم خارطة وجيعها الدائب.

وبسبب عدم إستيعاب ما حصل تداعت مجتمعات , وأصيب أفرادها المتحكمون بمصيرها بنهايات مروعة , بدأت في دول أوربا الشرقية وغيرها , وإنتهت في عدد من دول منطقتنا.

ولا تزال العديد من أنظمة الحكم في المنطقة وكأنها لم تستوعب المتغيرات , وتتوهم أن الفردية هي السلاح الأمضى لصناعة الحياة , ولهذا تجد مجتمعاتها متوحلة في كينونات تدميرية لذاتها وموضوعها , فهي متشبثة بأوهام وتصورات لا تصلح للزمن المعاصر , وبعضها يعيش وهم الإمبراطوريات الذي لقيَ حتفه منذ عقود , وكلما برزت إرادة فردية تتصدى لها الإرادة الجماعية في مجتمعات الدنيا قاطبة , إلا في مجتمعاتنا التي يتحقق تدجينها وتربيتها على التبعية والخنوع والرضى بحياة القطيع.

فهل من وعي واضح لمعنى أن نتفاعل لنكون؟!!

رابعا: الفردي والجماعي!!

الأمم المتأخرة في القرن الحادي والعشرين , عليها أن تضع الأسس التفاعلية الكفيلة بنشاطات جماعية متضامنة , لكي تتواصل مع عصرها , وأمتنا بحاجة لتأهيل قدراتها الجماعية لتكون.

ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى والخوف من التفاعل الجماعي يخيّم على الدول المنتصرة فيها , والتي توزعت ممتلكات الدولة العثمانية , ولهذا عملت جاهدة على ترسيخ الفرقة والإحتراب بين دولنا , التي لو إستوعبت دورها وإستثمرت بوجودها لكانت من القوى المهيمنة.

فالتقسيم تحول إلى نقمة , والنفط أصبح نقمة , والدين صار نقمة , فكل نعمة في ديارنا يجب أن تكون نقمة!!

وما يجري بإرادتنا , فالذي يتنازل عن إرادته عبّر عن خياره , وإرتضى أن يكون عبدا مطيعا للآخر الذي يسخّره لتحقيق مصالحه.

والتفاعلات الفردية المقرفة المتشظية الدائرة في واقعنا هي خيارات الكراسي المرهونة المصير , والمحمية من قبل سيدها المفترس الأمير , وستتواصل لأنها تحقق مصالح الغير وتناهض مصالح المواطنين , وتمنع أي نشاط جماعي يصنع قوة ويولّد قدرة على التحدي والرقاء.

فالأمة لن تكون إذا أغفلت الإرادة الجماعية , ولم توفر للأجيال البنى التحية الأساسية للإنطلاق الخلاق في نهر العصر الدفاق , بعيدا عن أي معوق أو مصد مهما كان نوعه ودرجته.

ولا بد للدين أن يبتعد عن الكرسي , لأنه صار مطية لتحقيق مصالح الآخرين , والإجهازعلى تطلعات الأجيال ودفنها في خنادق الوعيد والشديد.

فهل من قدرة على تفعيل إرادة نحن؟!!

*النِقمة: العقوبة , وهي عكس النعمة.

خامسا: هل يوجد مرجع فردي؟!!

"مراجعنا بأفرادٍ تماهت...فهل حقا بما نظرت أصابت"

البشرية في عصر الطوفان المعلوماتي , والفوران المعرفي , وما يتراكم في أرشيفها المتنوع الينابيع , يفوق القدرات الفردية , فلا شخص يمكنه الإلمام بكل ما يتصل بميدان إختصاصه من العلوم كافة .

وبخصوص العلوم الدينية فالمتراكم فيها هائل جدا , لتفاعل الأجيال وتواصل عطاءاتها.

ولو دخلنا أي مكتبة مهتمة بالتراث الديني للإسلام لأصابنا الذهول من كثرة الموسوعات , التي بذل أصحابها بتأليفها معظم أعمارهم , فلكي تستوعب علوم الأولين والآخرين , تحتاج إلى ضعف عمرك

العملي والتفاعل التضامني غير قادرة على الإتيان بما ينفعها , وتستهلك طاقاتها في مواجهات بينية تخدم أعداءها , وهي في غفلة عمّا يخطط.

ما أن بدأت علائم الثورة المعلوماتية تتصدر الواقع الأرضي , حتى إنتفى السلوك الفردي الفاعل في الحياة

أن الرأس الواحد لا يمكنه إستيعاب التطورات والمستجدات , ولا بد من رؤوس متفاعلة متواكبة النشاط إزاء المواقف والتطورات.

إنتفاء الفردية بدأ يلوح في الأفق في العقدين الأخيرين من القرن العشرين , وبلغت ذروة إنطلاقها في العقد الأخير منه

بسبب عدم إستيعاب ما حصل تداعت مجتمعات , وأصيب أفرادها المتحكمون بمصيرها بنهايات مروعة , بدأت في دول أوربا الشرقية وغيرها , وإنتهت في عدد من دول منطقتنا

فهل من وعي واضح لمعنى أن نتفاعل لنكون؟!!

الأمم المتأخرة في القرن الحادي والعشرين , عليها أن تضع الأسس التفاعلية الكفيلة بنشاطات جماعية متضامنة , لكي تتواصل مع عصرها , وأمتنا بحاجة لتأهيل قدراتها الجماعية لتكون

مئات المرات , وإلى دماغ قادر على التفاعل النبيه.

فهل يستطيع شخص لوحده أن يكون مرجعا؟!!

علينا أن نواجه الحقيقة المعاصرة بجرأة , ففي زمن قلة المعلومات كان الشخص قادرا على الإلمام بعلوم عصره , ويصبح مرجعا في بضعة سنوات , ولهذا وجدنا مراجعا في أعمار مبكرة.

أما في حسابات القرن الحادي والعشرين فمن التجني على أي علم , أن ندّعي بأن شخصا فردا هو المرجع فيه.

فالمرجع بتعبيرات القرن الحادي والعشرين , جمهرة من العقول المتبحرة في شأن ما إختصت به , ومع هذا فلا تصل للجواب الصائب وإنما تقترب منه.

فمن العدوان على أي علم أن نحسب شخصا ما مرجعا له , بل لا بد من مجلس علماء يؤلفون بتفاعلاتهم العقلية والفكرية والمعرفية الموّسعة , ما يمكن تسميته مصدرا فيه أرجحية من الموثوقية والإقتراب من جوهر الحالة المتداولة.

وهذا السلوك قائم في معظم الدول , فلكل حالة جمهرة من المستشارين العارفين بتفاصيل ومعطيات ما يتصدون له.

فالدول المعاصرة لا يحكمها أفراد كما نتوهم , وإنما مجالس عقول متنوعة الإختصاصات والإستشارات , تنطلق من مكامنها بجماعية ومنهجية وقدرات تحليلية رصينة ذات أدلة وبيانات واضحة.

فإلى متى نبقى في وهم الفرد المرجع , والفرد الأعرف ونهر العلوم يتدفق من حولنا , ونحن على ربوة بعيدين عن الأمواج وندّعي الدراية والجهل المروّع قائدنا؟!!

وختاما , علينا أن نثمن طاقاتنا وتفاعلها ونستخرج منها زبدة الرأي والفحوى , لكي نحقق المعاصرة ونعيد للأمة قدراتها الحضارية وعطاءاتها الإنسانية النبيلة السامية

ما يجري بإرادتنا , فالذي يتنازل عن إرادته عبّر عن خياره , وإرتضى أن يكون عبدا مطيعا للآخر الذي يسخّره لتحقيق مصالحه.

الأمة لن تكون إذا أغفلت الإرادة الجماعية , ولم توفر للأجيال البنى التحية الأساسية للإنطلاق الخلاق في نهر العصر الدفاق , بعيدا عن أي معوق أو مصد مهما كان نوعه ودرجته

فهل من قدرة على تفعيل إرادة نحن؟!!

في زمن قلة المعلومات كان الشخص قادرا على الإلمام بعلوم عصره , ويصبح مرجعا في بضعة سنوات , ولهذا وجدنا مراجعا في أعمار مبكرة

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa400-200226.pdf

**** **** ****

شبكة العلوم النفسية العربية

رقيا بعلوم وطب النفس، لصحة نفسانية افضل

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2026 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع عشر)

الشبكة تدخل عامها 26 من التأسيس و 24 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2025

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2024.pdf

التحميل من المتجر الإلكتروني
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=647&controller=product&id_lang=3